مجلة جامعة الملك سعود، م ٧، الآداب (١)، ص ص ٣-٣٧ (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

كاد، واتصال خبرها بأن في التراث

محمد الباتل
أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب،
جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(ورد بتاريخ ١٤١٤/٣/١٨هـ، وقبل للنشر بتاريخ ١٤١٤/٦/٢٣هـ)

ملخص البحث. يبين هذا البحث بالشاهد أن اقتران خبر (كاد) بأن قليل إلى أدنى حدود القلّة، ولكنه ليس ضرورة كما يقول البصريون، ومن تابعهم من المتأخرين؛ لوروده في عدّة شواهد محتج بها في النثر، وهو ليس مجال ضرورة. كما يُرجح البحث قول القائلين: إن اقتران خبر (كاد) بأن، ليس أصلاً فيها، وإنما قيست في ذلك على أختها (عسى).

وقد سُبقت إلى بحث هذه القضية من قبل كثيرين، كما يتضح من مصادر ومراجع هذه المقالة - وللسابق فضل السبق - ومنهم أبوالفتوح في *الفعل كاد في القرآن الكريم وفي صحيح البخاري* ولكي يكون هذا البحث مُكمِّلا لا مُكرّرا، لم أتعرض لشواهد القرآن أو *صحيح البخاري* إلا ما جاء عرضًا طلبه المنهج.

أولاً: من أقوال النحاة

١ - من الناحية الصرفية واللغوية والنحوية

ا - الجانب الصرفي

قال سيبويه: «فكُدت: فعِلتُ وفعُلتُ،»[١] وقال: «وأما مِتُّ تموت، فإنما اعتلّت من فعِل

(١) سيبويه، عمرو بن بشر، *الكتاب*، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م)، جـ٣، ص١١.

يفعُل، ولم تحوّل كما يحوّل: قَلُتُ وزدت، ونظيرها من الصحيح: فَضِل يفضُل، وكذلك كُدت تكاد اعتلت من: فعُل يفْعَل وهي نظيرة مِتّ في أنها شاذة، ولم يجيئا على ما كثر واطّرد من فَعُل وفَعِل.[٢] ويوضح التحويل المذكور فيقول: «وأما قُلت فأصلها فَعُلْت معتلة من فَعَلْت، وإنما حوّلت إلى فَعُلت؛ ليغيّروا حركة الفاء عن حالها لو لم تعتل. . . وكانت فعُلت أولى بفَعَلْت من الواو من فَعَلت؛ لأنهم حيث جعلوها معتلّة محوّلة الحركة، جعلوا ما حركته منه أولى به.»[٣] وقال: وأما يفْعَل من خفت وهبت فإنه يخاف ويهاب؛ لأن فَعِل يلزمه يفْعَل، وإنما خالفتا يزيد ويبيع؛ لأنهما لم تعتلا محوّلتين، وإنما اعتلتا من بنائهما الذي هو لهما في الأصل.»[٤] ثم ينقل فيها لغة أخرى عن أبي الخطاب: «أن ناسا من العرب يقولون: كيد زيد يفعل، ومازيل، يريدون: زال وكاد.»[٥]

ويقول الجوهري: «كاد يفعل كذا، يكاد كَوْدا، ومكادة: أي: قارب ولم يفعل، وحكى سيبويه عن بعض العرب: كُدت أفعل، بضم الكاف. قال: وحدثني أبو الخطاب أن ناسا من العرب يقولون: كيد زيد يفعل كذا، ومازيل يفعل كذا، يريدون: كاد وزال، فنقلوا الكسر إلى الكاف في فَعَل، كما نقلوا في فَعَلْتُ. وزعم الأصمعي أنه سمع من العرب من يقول: لا أفعل ذلك ولا كَوْدا، فجعلها من الواو.»[٦] ونقل آخر: «ألف كاد واو، وقيل ياء.»[٧] كاد من ذوات الواو، حكى سيبويه: كُدت بضم الكاف، ولا يكون هذا إلا من

---

(٢) سيبويه، *الكتاب*، جـ٤، ص٣٤٣.

(٣) سيبويه، *الكتاب*، جـ٤، ص٣٤٠.

(٤) سيبويه، *الكتاب*، جـ٤، ص ص٣٤١-٣٤٢.

(٥) سيبويه، *الكتاب*، جـ٤، ص٣٤٢.

(٦) إسماعيل بن حماد الجوهري، *الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية*، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط٢ (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، مادة (كود)، جـ٢، ص٥٣٢؛ وانظر: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، *لسان العرب* (بيروت: دار صادر وبيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، مادة (كود)، جـ٣، ص٣٨٣.

(٧) عبدالرحمن السيوطي، *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*، تحقيق عبدالعال سالم مكرم (الكويت: دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، جـ٢، ص١٣٧؛ وانظر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة (كود)، جـ٢، ص٣٨٣ «وهو بالياء أيضا».

الــواو، وقيل من ذوات الياء.»[٨] وحكى المطرّزي عن الفـرّاء: كُدت بضم الكـاف، وكِدْت: بكسرها.[٩] وحكى مجاهد: أن كاد يكاد كان في الأصل: كِيُد يكْيَد.[١٠] وهـذا يعني أنـه يرى أن أصلهـا الياء، ويظهـر أن ابن بزرج يتابعه حيث يرى أن الاثنين منها يتكايدان، لا يتكاودان كما يقول النحاة.[١١] «وحكى قطرب مصدر كاد: كَيْدا وكَيْدودة، وقال بعضهم: كودا ومكادا.»[١٢] «ولا مكادة»[١٣] فالمصدر (كَيْدا) على أنها من ذوات الياء، و(كَوْدا) على أنها من ذوات الواو. وكذلك عند إسناد (كاد) إلى ضمائر الرفع، «فمن قال: كُدت بضم فاء الفعل فهو من الواو بمنزلة (قُلت: قولا) لأنهم قد قالوا: لا أفعل ذلك ولا كَوْدا ولا همّا، ومن قال: كِدت بكسر فاء المـاضي، فإنـه على فَعِل: يَفْعَل، بكسر عين الماضي، وفتح المستقبل، إلا أنه يجوز أن يكون من الياء بمنزلة (هِبْت أهاب) لأنهم قالوا في المصدر (كَيْدا) فالياء والواو فيه لغتان.»[١٤] وينبني على ذلك أن كاد إذا كانت واوية العين مثل: قال يقول فهي من باب نَصَر ينْصُر (فَعَل: يَفْعُلُ) بفتح العين في الماضي، وضمها في المضارع، ثم أعلت الإعلال المعروف، أو واوية العين أيضا، ولكنها من باب خَوِفَ يَخْوَفُ: كعَلِم يعْلَم (فَعِل: يَفْعَل) بكسر العين في الماضي، وفتحها في المضارع. وزعم أبوالحجاج ابن يسعون أنها من باب تداخل اللغات؛ حيث أُخذ ماضيها من (فَعَل) بفتح العين مثل قال: ثم أُخذ المضارع من (يفْعَل) مثل (يَخْوَف) التي أصبحت بعد الإعلال (يخاف) مثل

---

(٨) السيوطي، *همع الهوامع*، جـ٢، ص١٣٧.

(٩) أبو جعفر أحمد بن يوسف بن علي بن يعقوب اللبلي (ت ٦٩١هـ)، *بغية الآمال في معرفة النطق بجميع مستقبلات الأفعال*، تحقيق سليمان بن إبراهيم العايد (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، وحدة البحوث والمناهج، ١٤١١هـ/١٩٩١م)، ص٨٠.

(١٠) ابن منظور، *لسان العرب*، (كود)، جـ٣، ص٣٨٤.

(١١) ابن منظور، *لسان العرب*، جـ٣، ص٣٨٣؛ و(كيد)، جـ٣، ص٣٨٤.

(١٢) السيوطي، *همع الهوامع*، جـ٢، ص١٣٦؛ وابن منظور، *لسان العرب*، (كود)، جـ٣، ص٣٨٣.

(١٣) الجوهري، *الصحاح*، مادة (كود)، جـ٢، ص٥٣٢.

(١٤) اللبلي، *بغية الآمال*، ص٨٠؛ وانظر: ابن منظور، *لسان العرب*، (كود)، جـ٣، ص ص٣٨٣-٣٨٤.

(يكاد)؛ لقصد التفرقة بين فعل المقاربة، وبين يكيد من الكيد. وإذا كانت (كاد) يائية العين مثل: هاب يهاب فهي على وزن (فَعِلَ: يَفْعَل)؛ لأن (هاب يهاب) أصلها (هَيِبَ: يَهْيَبُ) والقياس عليها (كَيِدَ: يَكْيَدُ) ثم حصل الإعلال فيهما.[١٥] ونسب ابن منظور (كُدت) بضم الفاء إلى بني عدي،[١٦] ولكنه خالف في وزن هذه الصيغة حيث قال: «قال سيبويه: وقد قالوا: كُدت تكاد فاعتلت من فَعُل يفْعَل كما اعتلت: مِتّ تموت عن فَعِل يَفْعُل.»[١٧] وعلى أي حال فاشتقاق (كاد) من (كود) الواوي العين جاء على وزنين (فَعَل: يَفْعُل، وفَعِل: يفْعَل)، وجاء على الوزن الأخير فقط من (كيد)، وهذا ما يُرجح أن تكون من الواوي العين، كما يُرجحه قول النجديين اليوم (كوده يجي) أي عساه أن يأتي، فاشتقوها من الواوي العين لا غير، ولا يعترض على هذا قولهم (كايد) بمعنى صعب أو ثقيل؛ لأنهم يقولون (ياكوده) أي ما أصعبه وأثقله، مما يدل على أن الياء في (كايد: كائد) أصلها الواو عندهم. واللغويون «قد فرّقوا بين الكسر والضم فيها، فقالوا: كُدنا بالضم من (الكيد) وهو القرب، وكِدْنا: بالكسر، من المكيدة وهي الحيلة، وقد قالوا: فيها (تكود)... على القياس.»[١٨]

وكما سمع من كاد الماضي، والمصدر ويحصر بعضهم نقله عن قطرب.[١٩] وهو في الحقيقة نقل أيضا عن غيره مثل الأصمعي: «سمع من العرب من يقول: لا أفعل ذلك ولا كودا.»[٢٠] وسبق هذان، سمع أيضا الفعل المضارع منها (يكاد) وقد ورد في القرآن الكريم عدة مرات، مثل ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ...﴾.[٢١] وحكى ابن مالك اسم فاعل من (كاد) وأنشد [لكثيّر عزّة]:

أموتُ أسىً يومَ الرُّجَامِ وإنني يقينًا لَرَهنٌ بالّذي أنا كائدُ

(١٥) اللبلي، *بغية الآمال*، ص٧١، وانظر ص٩٧.
(١٦) ابن منظور، *لسان العرب*، جـ٣، ص٣٨٣.
(١٧) ابن منظور، *لسان العرب*، جـ٣، ص٣٨٣.
(١٨) اللبلي، *بغية الآمال*، ص٨٠.
(١٩) السيوطي، *همع الهوامع*، جـ٢، ص١٣٦.
(٢٠) الجوهري، *الصحاح*، (مادة كود)، جـ٢، ص٥٣٢.
(٢١) سورة النور، آية ٣٥.

أي بالموت الذي كدت آتيه.»[٢٢] وفعلاً ذكر ذلك ابن مالك.[٢٣] وعلى الرغم من هذا، فإن كثيرا من النحاة لم يلتفت إلى هذا وقال: «أما كاد فجاءوا لها بمضارع لا غير»[٢٤] و «كاد يأتي منها الماضي والمضارع فقط.»[٢٥] و «كاد... استعمل [منها] المضارع.»[٢٦] وهذا واضح، ولكن الأشموني شرح كلمة (لاغير) في *ألفية ابن مالك* أي: دون بقية أفعال الباب الملازمة للمضي. وهذا التوجيه يتماشى مع رأي ابن مالك بمجيء اسم الفاعل من (كاد)، لاسيما أنه ذكر مجيء اسم الفاعل منها من غير عزو إلى ابن مالك، وإن مرّض الشاهد السابق برواية (كابد) مكان (كائد).[٢٧] ويمكن حمل عدم التفات هؤلاء غير الأشموني إلى مجيء اسم الفاعل من (كاد) إلى ندرته وضعف شاهده، يدلك على ذلك أن من هؤلاء السيوطي، مع أنه في موضع آخر سابق ذكر ذلك، وأورد شاهده، وابن مالك الأب في *الألفية* لم يلتفت إليه بحسب تفسير ابنه لقوله (لا غير) للسبب نفسه فيما يظهر، على الرغم من نسبة القول بمجيء اسم الفاعل إليه عند بعضهم، حيث ذكره في *شرح الكافية* كما مرّ.

---

(٢٢) السيوطي، *همع الهوامع*، جـ٢، ص١٣٦؛ وانظر: نورالدين علي بن محمد الأشموني، شرحه *ألفية ابن مالك* وبهامشه *حاشية الصبان* عليه، و*شرح الشواهد* للعيني (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، د. ت.)، جـ١، ص٢٦٥. وذكر رواية أخرى (كابد) بالباء الموحدة التحتية، فلا شاهد.

(٢٣) محمد بن مالك الطائي، *شرح الكافية الشافية*، تحقيق عبدالمنعم أحمد هريدي، ط١ (القاهرة: دار المأمون للتراث، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، جـ١، ص٤٥٩.

(٢٤) أبو عبدالله بدرالدين محمد بن الإمام جمال الدين محمد بن مالك، شرحه *ألفية أبيه*، تصحيح محمد ابن سليم اللبابيدي (طهران: مطبعة انتشارات ناصر خسرو، د. ت.)، ص٦٠.

(٢٥) عبدالرحمن السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن* (بيروت: عالم الكتب، د. ت.)، جـ١، ص١٦٨.

(٢٦) عبدالله بن عقيل، شرحه *ألفية ابن مالك* (وبالهامش حاشية *الخضري* عليه) (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، د. ت.)، جـ١، ص١٢٦.

(٢٧) انظر: الأشموني، شرحه *ألفية ابن مالك*، جـ١، ص ص٢٦٤-٢٦٥، وانظر ترجيح (كائد) على (كابد) عند الخضري، حاشيته على ابن عقيل، جـ١، ص١٢٧.

ب ـ الجانب اللغوي

«كاد يفعل كذا . . . أي قارب ولم يفعل . . . وقولهم عرف فلان ما يكاد منه : أي ما يراد منه . ويقال : لا مهمة لي ولا مكادة ، أي : لا أهم ولا أكاد ، وتقول لمن يطلب منك الشيء فلا تريد إعطاءه : لا ولا مكادة . وكاد وضعت لمقاربة الشيء فُعِل ، أو لم يُفْعَل ، فمجرّده ينبىء عن نفي الفعل ، ومقرونه بالجحد ينبىء عن وقوع الفعل ، ثم أورد الجوهري ثلاثة شواهد على أن (كاد) تأتي معنى أراد .[٢٨] ومادامت (كاد) أتت بمعنى (أراد) نثرًا وشعرًا ، فلا مبرر للاجتهاد بتوجيه تلك النصوص بتأويلات يُقصد منها تفريغها من ذلك المعنى . ويرجح مجيئها بمعنى أراد أن «من العرب من يدخل كاد ويكاد في اليقين وهو بمنزلة الظن أصله الشك ، ثم يُجعل يقينا .»[٢٩] وبما أن (كاد) تنازعها الأصلان (كَوَد ، وكَيَد) فمن معانيها الواردة ، تكايد : تشدّد ، وكادت المرأة : حاضت ، ونسب إلى الأخفش وقطرب وأبي حاتم مجيئها زائدة (صلة) وعلى ذلك أكثر الكوفيين ، وعن الفراء تقول العرب : ماكدت أبلغ إليك ، وأنت قد بلغت .[٣٠] ولعل المعنى الأخير بمعنى صعب أو ثقل عليّ بلوغك ، ويرجحه قولهم في العامية النجدية (هذا الشيء كايد) أي صعب ، أو ثقيل ، كما أنهم فسروا قول العرب : (لا كَوْدا ولا همّا) أي لا يثقلن عليك .[٣١] كما أنها تأتي للترجي : أي بمعنى

---

(٢٨) الجوهري ، *الصحاح* ، جـ٢ ، ص٥٣٢ ؛ وانظر : ابن منظور ، *لسان العرب* ، (كود) ، جـ٣ ، ص٣٨٣ ، و (كيد) ، جـ٣ ، ص٣٨٤ .

(٢٩) ابن منظور ، *لسان العرب* ، (كيد) ، جـ٣ ، ص٣٨٣ .

(٣٠) ابن منظور ، *لسان العرب* ، (كيد) ، جـ٣ ، ص٣٨٤ ، ويعيش بن علي بن يعيش ، شرح *المفصّل* (القاهر : المطبعة المنيرية ، د . ت .) ، جـ٧ ، ص١٢٥ نسبة الزيادة للكوفيين . وأبوالبقاء عبدالله ابن الحسين العكبري ، *إملاء ما منّ به الرحمن* ، طـ١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، جـ٢ ، ص١٥٧ القول بزيادتها بعيد ؛ والسيوطي ، *همع الهوامع* ، جـ٢ ، ص١٣٧ ، نسب القول بزيادتها إلى الأخفش .

(٣١) ابن منظور ، *لسان العرب* ، (كود) ، جـ٣ ، ص٣٨٢ .

تدل على المضي، أو المستقبل إلا بقرينة. ودلالتها على الحال غير ملابسة، بل مقاربة للشروع بالفعل، والأخذ فيه.»[٥٠] «فالمراد قرب وقوعه في الحال.»[٥١]

وهي وأخواتها «تعمل عمل كان، فترفع المبتدأ، وتنصب الخبر، إلا أن خبرها لا يكون إلا فعلا... ولولا اختصاص خبرها بأحكام ليست لكان وأخواتها لم تنفرد بباب على حِدَةٍ.»[٥٢] وذلك ككون خبرها جملة فعلية فعلها مضارع، وهذه الجملة الواقعة خبرا لكاد بمعنى اسم الفاعل، ولذلك قد يأتي على الأصل، قال تأبّط شرّا:

فأُبْتُ إلى فَهْم وما كدت (آيبا) وكم مثلها فارقتها وهي تُصْفِرُ[٥٣]

فقال (آيبا)، ولم يقل: ماكدت أؤوب، ومثله قول أبي علي الفارسي: «ألا تراك تقول: كاد زيد قائما،»[٥٤] وعدّه ابن مالك من النادر: «لكن ندر غير مضارع لهذين خبر،»[٥٥] وعند بعضهم أن مجيء خبرها غير فعل مضارع، إنما هو تنبيه على الأصل شذوذا.[٥٦] وكذلك تخالف كان في أن خبر كاد لا يتقدم عليها، وأنه يجوز حذفه إن علم بخلاف كان.[٥٧]

---

(٥٠) إبراهيم حسن إبراهيم، سيبويه *والضرورة الشعرية*، ط١ (القاهرة: مطبعة حسان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص٢٣٤.

(٥١) ابن يعيش، شرح *المفصل*، جـ٧، ص١١٩.

(٥٢) أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن هشام، شرح *شذور الذهب في معرفة كلام العرب*، وبهامشه: *منتهى الأرب*، بتحقيق شرح *شذور الذهب*، لمحمد محيي الدين عبدالحميد، ط١١ (القاهرة: دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ص٢٤١.

(٥٣) ابن يعيش، شرح *المفصل*، جـ٧، ص١١٩؛ والأشموني، شرحه *ألفية ابن مالك*، جـ١، ص٢٥٩.

(٥٤) أبو علي، الحسن بن أحمد الفارسي، *المسائل العسكرية*، تحقيق محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، ط١ (القاهرة: مطبعة المدني، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م)، ص١٤٦.

(٥٥) الأشموني، شرحه *ألفية ابن مالك*، جـ١، ص٢٥٨.

(٥٦) الصبان، حاشيته *على الأشموني*، جـ١، ص٢٥٨.

(٥٧) الصبان، حاشيته *على الأشموني*، جـ١، ص٢٥٨؛ وعبدالحميد، *منتهى الأرب*، ص٢٤١ حيث مثل لحذف خبرها بحديث (من تأتّى أصاب أو كاد، ومن عمل أخطأ أو كاد) أي أو كاد يصيب.. أو كاد يخطىء. وانظر: أبوتمام، حبيب بن أوس الطائي، *ديوان الحماسة* بشرح *العلامة التبريزي* (دمشق: مكتبة النوري، د.ت.)، جـ٢، ص٣٧٥ لمجهول في آل المهلب: (... ماناله عربيٌ لا ولا كادا).

ولمشابهة كاد وأخواتها بكان جاز «كون فاعلها [أي اسم كاد] ضمير القصة، والحديث المفسّر بالجمل.»[٥٨] وسوف يأتي الكلام على المشابهة فيما يتعلق بجملة الخبر.

أما الفعل المضارع الواقع خبرا (لكاد): فقال سيبويه «وأما كاد فإنهم لا يذكرون فيها أن... يقولون... كاد يفعل»[٥٩] «ويضطر الشاعر فيقول: كِدت أن... وكدت أن أفعل لا يجوز إلا في شعر... لأن معناها معنى ما يستعمل بأن، فتركوا الفعل حين خزلوا أن.»[٦٠] ومعنى قوله (معناها معنى ما يُستعمل بأن) يقصد (عسى) ولذلك يقول: «وقد جاء في الشعر (كاد أن يفعل) شبهوه بعسى.»[٦١] إلا أن عبارة (فتركوا الفعل حين خزلوا أن) غير دقيقة، فيما يظهر لي، في هذا المقام، حيث لما استعملت (كاد) استعمال (عسى) الدالة على الرجاء المستقبل لم تختزل أن، بل جلبت، وعلى أي حال فقد قيل عن عبارات الكتاب ما قيل.[٦٢] ويقول المبرد عن كاد: «فلا تذكر خبرها إلا فعلا؛ لأنها لمقاربة الفعل في ذاته... إلا أن يضطر الشاعر، فإن اضطر... قال: ... كاد... أن.»[٦٣] وعن أبي حاتم: «قال وقال ابن العوام: كاد زيد أن يموت. وأن لا تدخل مع كاد، ولا مع ما تصرّف منها... وكذلك جميع القرآن... وقد يدخلون عليها أنْ تشبيها بعسى.»[٦٤] وأورد العيني (كاد زيد أن يموت) بصدد أن الفعل الخبر يموت يرفع مستترا، ولا يرفع الظاهر إلا شذوذا، مثل (كاد زيد يموت أخوه.)[٦٥]

---

(٥٨) الفارسي، *المسائل العسكرية*، ص١٤٧.

(٥٩) سيبويه، *الكتاب*، جـ٣، ص١٥٩.

(٦٠) سيبويه، *الكتاب*، جـ٣، ص١٢.

(٦١) سيبويه، *الكتاب*، جـ٣، ص١٦٨، وانظر: جـ٣، ص١١ «ومثل ذلك عسى يفعل ذاك.»

(٦٢) سيبويه، *الكتاب*، (المقدمة)، جـ١، ص ص٣٠-٣١.

(٦٣) المبرد، *المقتضب*، جـ٣، ص٧٥، وذكر مثل ذلك في: *الكامل*، جـ١، ص١١٣.

(٦٤) ابن منظور، *لسان العرب*، (كود)، جـ٣، ص٣٨٢؛ وابن يعيش، *شرح المفصل*، جـ٧، ص١٢١ «فيقال: كاد زيد أن يقوم.»

(٦٥) العيني، *شرح الشواهد* (بهامش الأشموني)، جـ١، ص٢٦٠.

فنادر.»[٧٧] ولكن ابن مالك لم يكتف، في الحقيقة، بالأحاديث في البخاري فقط، بل شفع ذلك بحجة نحوية عقلية، قائلا: «ولا يمنع عدم وقوعه في القرآن مقرونًا بأن، من استعماله قياسا لو لم يرد سماع؛ لأن السبب المانع من اقتران الخبر بأن في باب المقاربة، هو دلالة الفعل على الشروع كطفق وجعل، فإن (أنْ) تقتضي الاستقبال، وفعل الشروع يقتضي الحال فتنافيا. ومالا يدل على الشروع فمقتضاه مستقبل، فاقتران خبره بأن مؤكد لمقتضاه، فإنها تقتضي الاستقبال وذلك مطلوب فمانعه مغلوب.»[٧٨] وعلى أي حال فقد تابع أكثر شراح *الألفية* ابن مالك بأن اقتران خبر (كاد) قليل لا ضرورة.[٧٩] وتابعهم الكثير من المتأخرين.[٨٠]

لقد سبق الكلام على المشابهة بين كان وأخواتها، وكاد وأخواتها فيما يتعلق ببعض الجوانب، وبعد الانتهاء من جملة (خبر كاد) وارتباط فعلها بأنْ، وعدم ارتباطه، يحسن معرفة مدى تأثير ذلك على تلك العلاقة. قال ابن مالك الابن: «الحق أن أفعال المقاربة ملحقة بكان إذا لم يقترن الفعل بعدها بأنْ، أما إذا اقترن بها فلا.»[٨١] ويقول آخرون: أفعال هذا الباب تعمل عمل كان. ولا خلاف في ذلك حيث كان الفعل بعدها غير مقرون بأنْ، أما المقرون فزعم الكوفيون: أن كاد ناقصة، وأن جملة الخبر بدل من الأول بدل اشتمال، فالمعنى في: كاد زيد أن يقوم، قَرُب قيامُ زيدٍ، فقدّم الاسم، وأخّر المصدر. ورُدّ بأن البدل لا تتوقّف عليه الإفادة، والخبر هنا تتوقف عليه. وقال ابن مالك بما قال الكوفيون

---

(٧٧) البغدادي، *خزانة الأدب*، جـ٤، ص٩١، وعن موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث (فيه) جـ١، ص ص٥-٧.

(٧٨) ابن مالك، *شواهد التوضيح*، ص١٠٠.

(٧٩) انظر على سبيل المثال: ابن مالك الابن، شرحه *ألفية أبيه*، ص٥٩؛ والأشموني، شرحه *ألفية ابن مالك*، جـ١، ص٢٦١.

(٨٠) كالسيوطي، *همع الهوامع*، جـ٢، ص١٣٩؛ وشمس الدين، أحمد بن سليمان بن كمال باشا، *رسائل ابن كمال باشا اللغوية*، تحقيق ناصر بن سعد الرشيد، الجزء الأول (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م)، ص٢٤.

(٨١) ابن مالك الابن، شرحه *ألفية أبيه*، ص٥٩.

به، لكن هذا البدل من المرفوع سدّ مسدّ الجزءين. وقال الجمهور: إن كاد هنا ناقصة، والخبر (أن يقوم) وهو في تأويل مصدر، والمصدر عندهم لا يخبر به عن ذات، ومن ثَمَّ قدّروا مضافا قبل الاسم (كاد أمرُ زيد القيام) أو بعد الاسم (كاد زيد صاحب القيام). وبعضهم قال (أنْ) زائدة وليست بمصدرية، وليس بشيء لأنها عملت. وقال سيبويه والمبرد: أنه مفعول به؛ لأنها في معنى: قارب زيد هذا العمل، أو بمعنى: قرب زيد من أن يقوم، وحذف الجار توسعا، وذلك حذرا من الإخبار بالمصدر عن الجثة كما سبق.[٨٢]

ويعلق عضيمة على ذلك بأن سيبويه والمبرِّد يريان أفعال المقاربة ككان وأخواتها، المرفوع بعدها اسم، والجملة الفعلية عموما بعدها خبر لها، ولعل الوهم بنسبة القول السابق إليهما ناشيء من تسمية (اسمها) بالفاعل، و(خبرها) بالمفعول، وذلك يجري منهما على سبيل التسامح في المصطلح.[٨٣]

٢ ـ من شواهد النحاة على اقتران خبر كان بأن

١ ـ النثر

من الأحاديث في غير صحيح *البخاري*،[٨٤] التي أوردها النحاة حديث: «كاد الفقر

---

(٨٢) ابن هشام، *مغني اللبيب*، جـ١، ص ص١٥١ـ١٥٢ عن عيسى؛ والسيوطي، *همع الهوامع*، جـ٢، ص١٣٨، الذي أشرك مع عيسى كاد في الحكم، وانظر: أبا حيان، *تذكرة النحاة*، ص٤٩٥؛ والمبرد، *المقتضب*، جـ٣، ص٦٩. ولا تقول: عسى محمد القيام، لأن القيام مصدر لا يخص وقتا من وقت، بخلاف أن يقوم، لأنه يدل على الزمن المستقبل.

(٨٣) المبرد، *المقتضب*، (هامش)، جـ٣، ص٦٩.

(٨٤) عن القرآن والأحاديث في *صحيح الإمام البخاري*، انظر: ابن مالك، *شواهد التوضيح والتصحيح*، ص ص٩٨ـ١٠٢؛ ومحمد حسين أباالفتوح، «الفعل كاد في القرآن الكريم وفي صحيح البخاري دراسة وإحصاء،» *مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود*، م١٥، ع٢(١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ٢٢٥ـ٢٥٤.

أن يكون كفرا.»[٨٥] وحديث «ثم رفع رأسه فلم يكد أن يسجد، ثم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه.»[٨٦]

ب ـ الشعر

ـ أنشد أبو زيد في صفة كلب (لمجهول):

يَرْتَـمّ أنـف الأرض في ذهـابـه يكـاد أن ينسـلّ من إهـابـه[٨٧]

الشاهد: (يكاد أن ينسل).

ـ لرؤبة أو لغيره:

رَبْـعٌ عفـاه الـدهر طولا فَانْمحَى قد كاد من طول البِلَى أن يمْصحا[٨٨]

---

(٨٥) هذا الحديث رواه أبو نعيم في *الحلية*، انظر: ابن مالك، *شواهد التوضيح*، ص١٠١، قال عنه السيوطي حديث ضعيف؛ وأباهاجر، محمد السعيد بن بسيوني زغلول، *موسوعة أطراف الحديث النبوي*، طـ١ (بيروت: عالم التراث، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، جـ٦، ص٨، وذكر كثيرا من المصادر، وفي ص٩ بلفظ (كادت الحاجة...)؛ وابن يعيش، *شرح المفصل*، جـ٧، ص١٢١؛ وابن كمال باشا، *رسائل*، ص٢٤. وخرّجه المحقق، عبدالحميد، *الانتصاف* (بهامش *الإنصاف*)، جـ٢، ص٥٦٦. وقد وردت هذه العبارة مثلا عند بعضهم، انظر: أبا الفتوح، «الفعل كاد،» ص٢٤٠ بلفظ (كاد الفقر يكون كفرا) من غير أن، ومثل ذلك مارواه البخاري وذكره أبوالفتوح، ص٢٤٦ (كـاد قلبي أن يطير) فقد ورد (كاد قلبي يطير) من غير أن؛ انظر: عبدالرحمن السيوطي، *تنوير الحوالك على موطأ مالك* (بيروت: دار الندوة الجديدة، د. ت.)، جـ١، ص١٠٠.

(٨٦) ابن كمال باشا، *رسائل*، ص٢٤، وخرّجه المحقق من سنن *أبي داوود*.

(٨٧) البغـدادي، *خزانة الأدب*، جـ٤، ص ص٩٠ـ٩١. ولم أجده في نواد أبي زيد المطبوعة، بعناية سعيد الخوري، وعبدالحميد، *الانتصاف* (هامش *الإنصاف*)، جـ٢، ص٥٦٧.

(٨٨) سيبويه، *الكتاب*، جـ٣، ص١٦٠؛ والمبرد، *المقتضب*، جـ٣، ص٧٥؛ وله، *الكامل*، جـ١، ص١١٤؛ والجـوهـري، *الصحاح*، (كود)، جـ٢، ص٥٣٢؛ والأنباري، *الإنصاف*، جـ٢، ص٥٦٦؛ وعلي بن مؤمن بن عصفور، *المقرّب*، تحقيق أحمد عبدالستار الجواري، طـ١ (بغداد: مؤسسـة دار الكتـاب، ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ص٩٨؛ وابن يعيش، *شرح المفصل*، جـ٧، ص١٢١؛ وابن منظور، *لسان العرب*، (كود)، جـ٣، ص٣٨٣؛ والبغدادي، *خزانة الأدب*، جـ٤، ص٩١.

قال: كاد. . . أن يمصحا.

ـ لأبي زبيد الطائي، أو لمحمد بن مناذر:

كادت الـنـفس أن تفـيْظ عليه إذْ غدا حَشْـوَ رَيْطَةٍ وبُـرودِ(٨٩)

الشاهد: كادت النفس أن تفيض.

ـ قال ذو الرمّة:

وجـدت فؤادي كاد أن يستخفَّـه رجيعُ الهوَى من بعض مايتذكّرُ(٩٠)

قال: كاد أن يستخفه.

ـ وأنشد ابن الأعرابي، وغيره (لمجهول):

حتّـى تراه وبـه أكـداره يكـاد أن يَنْـطحـه إجمـاره(٩١)

الشاهد: يكاد أن ينطحه.

ـ وأنشد ابن الأعرابي:

يكاد، لولا سيره، أن يَمْلَصا(٩٢)

---

(٨٩) ابن هشام، ، *شرح شذور الذهب*، ص٣٣٥؛ وابن هشام، *مغني اللبيب*، جـ٢، ص٦٦٢؛ والأشموني، *شرحه ألفية ابن مالك*، جـ١، ص٢٦١؛ *شرحه ألفية ابن مالك*، جـ١، ص١٢٥؛ وابن يعيش، *شرح المفصل* (هامش)، جـ٧، ص١٢١، وقد تطرّقت أكثر هذه المصادر إلى الأقوال في رسم (تفيض) بالضاد أو (تفيظ) بالظاء.

(٩٠) البغـدادي، *خزانـة الأدب*، جـ٤، ص٩١؛ وابن يعيش، *شرح المفصـل* (هـامش)، جـ٧، ص١٢١؛ وعبـدالحميد، *الانتصـاف* (بهـامش *الإنصاف*)، جـ٢، ص٥٦٦، ولعلّها نقلا عن البغدادي الذي نقل عن ابن حمزة البصري، ونصّ على النقل.

(٩١) البغـدادي، *خزانة الأدب*، جـ٤، ص٩٠ عن ابن حمزة البصري؛ وابن يعيش، *شرح المفصّل* (هامش)، جـ٧، ص١٢١؛ وعبدالحميد، *الانتصاف* (بهامش *الإنصاف*)، جـ٢، ص٥٦٧، ولعلهما نقلا عن البغدادي؛ والمجر: الشيء الضخم من حمل ونحوه.

(٩٢) البغدادي، *خزانة الأدب*، جـ٤، ص٩٠، عن ابن حمزة البصري؛ وابن يعيش، *شرح المفصل* (هامش)، جـ٧، ص١٢١؛ وعبدالحميد، *الانتصاف* (بهامش *الإنصاف*)، جـ٢، ص٥٦٧. ولعلّهما نقلا عن البغدادي.

قال: يكاد . . . أن يملصا.

ـ لمجهول:

أبيتُمْ قبــولَ السِّلم منّــا فكـدتمُ لدَى الحرب أن تُغْنوا السيوف عن السلِّ[٩٣]

الشاهد: فكدتم . . . أن تغنوا.

ـ لعامر بن الطفيل، أو لغيره:

فَلَمْ أَرَ مثلَهــا خبــاسـةَ واجــد ونَهْنَهْتُ نفسي بعـدما كدت أَفْعَلَهْ

أراد: بعدما كدت أن أفعله، فحذف (أن) وأعملها بنصب أفعل، وإدخالها ضرورة عند بعض النحاة، وقليل عند آخرين؛ لأن العامل لا يُحذف ويبقى عمله، كما هنا، إلا إذا اطّرد ثبوته. على أن الشاهد فيه توجيه إعرابي آخر، وأصله (بعدما كدت أفْعلُها) من غير وجود لأنْ، ثم على لغة (القطع) لطيء (لغة من لا ينتظر) سَكَّن الضمير المؤنث (ها) بعد حذف ألفها، وألْقَى فتحة الهاء على الحرف قبلها، وهو اللام من أفعل،[٩٤] وبهذا التوجيه الأخير لا شاهد في البيت على ما نحن بصدده.

ـ لحسان بن ثابت:

وتكــاد تَكْسَــلُ أن تجيء فراشَهــا في جسـم خَرْعـبــة وحـسن قَوامِ

استشهـد به بعض النحـاة على اقتران خبر كاد بأن (تكاد تكسل أن تجيء)، وقيل (أنْ) زائدة.[٩٥] وفي الاستشهاد به نظر، لأن خبر كاد جملة (تكسل) وهي مجردة من (أنْ).

---

(٩٣) ابن مالــك، *شواهـد التـوضيح*، ص١٠١؛ وابن مالـك الابن، *شرحـه ألفية أبيه*، ص٦٠؛ والأشموني، *شرحه ألفية ابن مالك*، جـ١، ص٢٦١.

(٩٤) الأنباري، وعبدالحميد، *الإنصاف* وبهامشه *الانتصاف*، جـ٢، ص ص٥٦١، ٥٦٥؛ وفي الأخيرة كلام العلماء عليه؛ وابن مالـك، *شواهـد التـوضيح*، ص١٠١؛ والأشموني، *شرحه ألفية ابن مالك*، جـ١، ص٢٦١.

(٩٥) ابن يعيش، *شرح المفصل*، جـ٧، ص ص١٢٠، ١٢٦؛ وابن منظور، *لسان العرب*، (كيد)، جـ٣، ص٣٨٤.

ثانيا: شواهد جديدة

١ ـ الشواهد النثرية

ـ الأحاديث النبوية من غير *صحيح الإمام البخاري*

ورد في *موطأ* الإمام مالك: «فاحتلم عمر حتى كاد أن يصبح.»[٩٦] وحديث «فدنوت منه حتى أن ثيابي لتكاد أن تمس ثيابه.»[٩٧] وحديث «فلم يزل يسأله [الضمير المنصوب يعود على ابن عباس] حتى كاد أن يخرجه.»[٩٨] فتلك ثلاثة أحاديث وردت فيه بـ (كاد أن) ولم أورد رابعها، لأنه مذكور في *صحيح البخاري* بلفظه، وهو «... فكدت أن أعجل عليه.»[٩٩]

يقابل ذلك أحاديث في *الموطأ* ورد فيها (كاد) من غير أن يقترن خبرها بأَنْ، وهي: «كاد يفتنني،»[١٠٠] و«فضربه أو كاد يضربه،»[١٠١] و«حتى إذا كادت تحل،»[١٠٢] و«حتى كادت عيناها ترمصان،»[١٠٣] و«بي وجع قد كاد يهلكني.»[١٠٤] فتلك خمسة أحاديث ورد خبر كاد فيها من غير (أن)، وسادسها حديث «كاد قلبي يطير»[١٠٥] الذي أورده البخاري بلفظ «كاد قلبي أن يطير» واستشهد به النحاة على ذلك،[١٠٦] وسبقت الإشارة إليه.

---

(٩٦) السيوطي، *تنوير الحوالك*، جـ١، ص٧٠.

(٩٧) السيوطي، *تنوير الحوالك*، جـ١، ص١٠٠.

(٩٨) السيوطي، *تنوير الحوالك*، جـ٢، ص١٢.

(٩٩) السيوطي، *تنوير الحوالك*، جـ١، ص٢٠٦.

(١٠٠) السيوطي، *تنوير الحوالك*، جـ١، ص١١٩.

(١٠١) السيوطي، *تنوير الحوالك*، جـ٢، ص٧٨.

(١٠٢) السيوطي، *تنوير الحوالك*، جـ٢، ص٧٩.

(١٠٣) السيوطي، *تنوير الحوالك*، جـ٢، ص١١٢.

(١٠٤) السيوطي، *تنوير الحوالك*، جـ٣، ص١٢١.

(١٠٥) السيوطي، *تنوير الحوالك*، جـ١، ص١٠٠.

(١٠٦) انظر: العيني، *شرح الشواهد* (بهامش الأشموني)، جـ١، ص٢٦١؛ وعبدالحميد، *الانتصاف* (بهامش *الإنصاف*)، جـ٢، ص٥٦٦ بلفظ البخاري.

يتبيّن من هذا أن *الموطأ* اشتمل على عشرة أحاديث تتضمن فعل المقاربة (كاد) ستة منها لم يقترن خبر كاد بأَنْ، وأربعة منها اقترن بأن. وأورد ابن كثير في تفسيره الأحاديث: حديث معاوية رضي الله عنه: «وكان قَلَّما يكاد أن يدع يوم الجمعة هؤلاء الكلمات.»[١٠٧] وحديث عائشة بشأن حَسّان بن ثابت، وضَرْب صفوان بن المعطل السّلَمي له بالسيف «وكاد أن يقتله.»[١٠٨] وحديث «والذي بعثك بالحق إذا لم آكل المرتين والثلاث يكاد أن يَعْشُوَ بصري.»[١٠٩] وحديث عبدالله بن عمرو بن العاص: «فلما مضت الليالي الثلاث، وكدت أن أحتقر عمله.»[١١٠] وورد عند آخرين حديث الأعرابي صاحب الضبّ وفيه: «مهلا ياعمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيّا.»[١١١] وقد أورد زغلول عددا من الأحاديث: (كاد ابن أبي الصَّلْت أن يسلم، كاد الجُعَل أن يعذب في حجره، كاد الحسد أن يسبق القدر، كاد الحكيم أن يكون نبيّا، كاد أن يصيبنا في خلافك شرّ، كاد صاحب الأناة أن يصيب، كادت الملائكة أن تَحُوْلَ بيني وبينه[١١٢] و(كدت أن تدعو الله باسمه الأعظم، كدتم أن تفعلوا فعل فارس).[١١٣]

ب ـ من كلام العرب المحتجّ بهم

هناك مثل مشهور ورد بلفظ (كاد العروس يكون أميرا)[١١٤] وهذا لا شاهد فيه،

---

(١٠٧) أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي، *تفسير القرآن العظيم*، ط٢ (بيروت: دار الجيل، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، جـ١، ص٤٨٥.

(١٠٨) ابن كثير، *تفسير*، جـ٣، ص٢٦٤.

(١٠٩) ابن كثير، *تفسير*، جـ٤، ص٣٢١.

(١١٠) ابن كثير، *تفسير*، جـ٤، ص٣٣٨.

(١١١) شهاب الدين، محمد بن أحمد الإبشيهي، *المستطرف في كل فن مستظرف* (بيروت: دار الفكر، د. ت.)، جـ٢، ص١١٥. رواه الدارقطني والبيهقي والحاكم وابن عدي.

(١١٢) زغلول، *موسوعة*، جـ٦، ص ص٨ـ٩، مع أنني في الحديث المروي بعدة ألفاظ اكتفيت بلفظ واحد غالبا.

(١١٣) زغلول، *موسوعة*، جـ٦، ص٣٩٩.

(١١٤) الجوهري، *الصحاح*، (عرس)، جـ٣، ص٩٤٧.

ولكنه ورد أيضا بلفظ (كاد العروس أن يكون أميرا).[١١٥] ورجل يشكي حاله لعبدالله بن عمر ويقول: «أنا رجل شحيح لا أكاد أن أُخْرِج من يدي شيئا.»[١١٦] ومرّ الحسن البصري بحلقة أبي عمرو بن العلاء، فقال الحسن: «كادت العلماء أن تكون أربابا.»[١١٧] وفي قصة شفاعة مسلمة بن عبدالملك لابن هبيرة عند هشام بن عبدالملك ورد: «حتى إذا كان أن يخرج من الديوان رجع.»[١١٨] وفي رواية عن قصة عبدالرحمن الملقب بالقَسّ المكي، لكثرة عبادته، مع المغنية سلّامة، أنه لما سمعها «أُغْمِي عليه، وكاد أن يهلك.»[١١٩] وقيل لسمرة ابن جندب: «إن ابنك إذا أكل طعامًا كَظَّه حتى كاد أن يقتله. قال: لو مات ما صلّيت عليه.»[١٢٠] وعن عروة بن الزبير قال: «لما أجمعت قريش المسير، ذكرت الذي بينها وبين بني بكر في الحرب، فكاد ذلك أن يَثْنِيَهُمْ.[١٢١] ويمكن أن يلحق بهذا قول أعرابي؛ لأنه أعرابي، في امرأة جميلة: «كاد الغزال أن يكونها، لولا ما تَمَّ منها، وما نقص منه.»[١٢٢]

---

(١١٥) أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري، *بهجة المجالس، وأنس المُجالِس وشحذ الذاهن والهاجس*، تحقيق محمد مرسي الخولي، وعبدالقادر القط (القاهرة: دار الكاتب العربي، د. ت.)، جـ٢، ص٣٣٤.

(١١٦) ابن كثير، *تفسير*، جـ٤، ص٣٣٩.

(١١٧) أبوالمحاسن، المفضّل بن محمد بن مِسْعَر التنوخي، *تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم*، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو (الرياض: مطابع دار الهلال، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص١٤٣؛ وأحمد بن محمد بن عبدربه، *العقد الفريد*، تحقيق عبدالمجيد الترحيني، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، جـ٢، ص٨٢، لكن نسب القول إلى الأحنف بن قيس لا إلى الحسن.

(١١٨) ابن عبدربه، *العقد الفريد*، جـ٢، ص٦٠.

(١١٩) ابن عبدربه، *العقد الفريد*، جـ٧، ص١٩.

(١٢٠) ابن عبدربه، *العقد الفريد*، جـ٨، ص١٦.

(١٢١) ابن كثير، *تفسير*، جـ٢، ص٣٠٤.

(١٢٢) ابن عبدربه، *العقد الفريد*، جـ٤، ص٤٧.

جـ - من كلام العرب المولَّدين

يقول الخليفة المعتصم: «كاد والله أن يسبق السيف العذل.»[١٢٣] وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: «وكدت أن أشق ثيابي عجلة،»[١٢٤] ويقول ابن عبدربه: «كتب العتابي فكاد أن يختل بالمعنى.»[١٢٥] ويقول أيضًا: «فرجع الرسول وأخبرهما بذلك، فكاد أن يُغْشى عليهما من الضحك»[١٢٦]. ويقول أيضا: «وكانت طائفة من أهل فارس قد عاثوا فيها وفسقوا... حتى كادت أن تُقْفِر.»[١٢٧] ويقول ابن الجزري عن المقرىء: «تخشع القلوب عند قراءته، حتى يكاد أن يسلب العقول.»[١٢٨] ويقول الخفاجي: «واعلم أن المتأخرين، وإن تأخر زمانهم عن المتقدمين، فقد زاحموهم بالرُّكَب، وكادوا أن يرقوا إلى أعلى المراتب.»[١٢٩]

ويقول أيضا: «كاد أن يكلمه بألسنة السيوف.»[١٣٠] وللمعرّي: «فقبض الشيخ مائة دينار ذهبا، فكاد أن يخرج من عقله.»[١٣١] وورد في ترجمة ابن سبعين: «فقال أئتوني بمداد،

---

(١٢٣) ابن عبدربه، *العقد الفريد*، جـ٢، ص٣٣.

(١٢٤) ابن عبدربه، *العقد الفريد*، جـ٨، ص١٠١.

(١٢٥) ابن عبدربه، *العقد الفريد*، جـ٤، ص٣١١.

(١٢٦) أحمد بن محمد المقرّي، *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط١ (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م)، جـ٥، ص٣٠٧.

(١٢٧) المقري، *نفح الطيب*، جـ٥، ص٣٥٢.

(١٢٨) أبوالخير، محمد بن محمد بن الجزري، *النشر في القراءات العشر*، تصحيح علي محمد الضبع (القاهرة: مطبعة مصطفى محمد، د. ت.)، جـ١، ص١١٢.

(١٢٩) شهاب الدين، أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، *ريحانة الألباء، وزهرة الحياة الدنيا*، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، ط١ (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م)، جـ٢، ص٤٦٩.

(١٣٠) الخفاجي، *ريحانة الألباء*، جـ١، ص٣٨٥.

(١٣١) المقري، *نفح الطيب*، جـ١، ص٣٨٥.

ب ـ الشعر المُولَّد

ـ للبوصيري:

كاد أن يَغْشى العيونَ سَنًى مِنْـ ـه لسِرٍّ فيه حَكَتْهُ ذُكاءُ(١٤١)

الشاهد: كاد أن يغشى.

ـ للبديع الهمذاني في *مقاماته*:

كاد أن يَقْطر منها الماءُ قد أثمرتْها همة علياءُ(١٤٢)

قال: كاد أن يقطر.

ـ لعبدالرحمن بن الحكم:

ألاقي بوجهي سمومَ الهَجيـ ـرِ إذْ كاد منه الحَصَى أن يذوبا(١٤٣)

قال: كاد الحصى أن يذوبا.

ـ لأبي تمام:

كاد أن يَكْتُبَ الهوَى بين عينيـ ـهِ كتابا هذا حبيبُ حبيبِ(١٤٤)

الشاهد: كاد أن يكتب.

ـ لإحدى جواري هارون الرشيد:

أنا التي أمشي كما يمشي الوجي يكاد أن يَصْرَعَني تَغَنُّجي

من جَنَّة الفردوس كان مخرجي(١٤٥)

---

(١٤١) *مجموعة مهمّات المتون*، طـ٤ (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م)، ص١٠٠.

(١٤٢) أبوالحسن علي بن عبدالغني الحُصري القيرواني، *زهر الآداب، وثمر الألباب*، عناية زكي مبارك (القاهرة: المطبعة الرحمانية، د. ت.)، جـ٤، ص٢٠٧.

(١٤٣) المقرّي، *نفح الطيب*، جـ١، ص٣٢٧.

(١٤٤) الأصفهاني، *كتاب الزهرة*، جـ١، ص٦٠.

(١٤٥) ابن عبدربه، *العقد الفريد*، جـ٨، ص١٠٩.

قالت: يكاد أن يصرعني.

ـ لمجهول، وعليه رداء عصور الاستشهاد وأُورِدَ للنحاة:

مُزَكَّـنـا مُعَـجّـر الـنـواحـي قد كاد أن ينـقـدّ للأحـاح(١٤٦)

الشاهد: قد كاد أن ينقد.

ـ لابن دريد:

خفَّتْ فكـادت أن تطير بها حَوَتْ وكـذا الجسـوم تخفّ بالأرواح(١٤٧)

قال: كادت أن تطير.

ـ لأبي عامر بن شُهَيد الأندلسي:

كاد أن يرجـع من لثـمـي له وارتشـاف الثغْـر منـه أدْرَدَا(١٤٨)

الشاهد: كاد أن يرجع.

ـ وللحسن بن أحمد عاكش الضمدي:

وعمرو بن كلثوم فقد صاغ نَظْمَهُ بِرِقّـة لفظ كاد أن يتـقـطَّرا(١٤٩)

قال: كاد أن يتقطرا.

ـ لابن الرومي:

عظُمْتْ فكـادت أن تكـون إوَزَّةً وغَلَتْ فكـاد إهـابُهـا يتفـطَّر(١٥٠)

استعملها بأنْ (كادت أن تكون)، وبدونها (كاد إهابها يتفطر).

---

(١٤٦) أبـو حيّان، *تذكـرة النحـاة*، ص٦٤. و(مـزكّن) مُعَلَّم. و(معجّـر) ممتـلىء، أو ذو عقـد. و(الأُحاح) العطش، واستعاره لشدة الرغبة.

(١٤٧) الصاحب بهاءالدين المنشىء الإربلي، *التذكرة الفخرية*، تحقيق نوري القيسي وحاتم الضامن (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص٣١٦.

(١٤٨) المقرّي، *نفح الطيب*، جـ٤، ص٣٣١.

(١٤٩) محمـد بن أحمـد العقيلي «الحسن بن أحمـد عاكش الضمـدي ٢،» *مجلة العرب*، جـ٣، س٦ (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ص١٨٢.

(١٥٠) الحصري، *زهر الآداب*، جـ٢، ص٥.

ـ لأبي علي المحسّن التنوخي :

خرجنـا لنستسقيْ بيُمْن دعـائـه وقد كاد هدب الغيم أن يبلغ الأرضا(١٥١)

الشاهد : كاد الهدب أن يبلغ .

ـ لأبي بكر بن الطُّفيل :

ولّـا التقينـا بعـد طول تَهَاجرٍ وقد كاد حبل الوصل أن يَتَقَطَّعا(١٥٢)

قال : كاد الحبل أن يتقطع .

ـ لأحمد شوقي :

قم للمـعـلِّم وفِّـه الـتبـجـيلا كاد المعلِّم أن يكـون رسـولا(١٥٣)

قال : كاد المعلم أن يكون .

ـ ولابن حجر العسقلاني :

ويكـاد أن يمضيْ بأبصـار العِدَى ماضِي بَوارِقِ سيفِهِ في الجَحفْلِ (١٥٤)

الشاهد : يكاد أن ينهض .

ـ ولكُشاجم في وصف السحاب :

وكـاد أن ينهض لاسـتـقبـالهـا تسمّحت بالـرِّيّ من زُلالها(١٥٥)

---

(١٥١) الخفاجي ، *ريحانة الألباء* ، جـ٢ ، ص١٥٧ .

(١٥٢) محمد عبدالله عنان ، «أبوبكر بن الطفيل ،» *مجلة العربي* ، ع٧٤ ، س٧(١٩٦٥م) ، ص٣٢ .

(١٥٣) أحمد شوقي ، *ديوان شوقي* ، توثيق أحمد محمد الحوفي (القاهرة : دار نهضة مصر ، د. ت .) ، جـ١ ، ص٤٩٧ .

(١٥٤) محمد عبدالله الحبشي ، «ابن حجر العسقلاني في اليمن ،» *مجلة العرب* ، جـ جـ١١ ، ١٢(١٤٠٦/١٩٨٦م) ، ص٧٤٤ .

(١٥٥) علي بن عبدالعزيز الجرجاني ، *الوساطة بين المتنبي وخصومه* ، تحقيق عبدالمتعال الصعيدي وأحمد عارف الزين (القاهرة : محمد علي صبيح ، د. ت .) ، ص٣١ .

قال: كاد أن ينهض.

ـ وللبحتري:

أتاك الربيع الطَّلْق يختال ضاحكا من الحُسْن حتى كاد أن يتكلّما[١٥٦]

الشاهد: كاد أن يتكلما.

ـ لأبي يحيى رفيع الدولة بن صمادح:

حبيب متى ينأَى عن العين شخصُهُ يكاد فؤادي أن يطير من البَيْنِ[١٥٧]

الشاهد: يكاد فؤادي أن يطير.

ثالثا: تأمّلات

١ ـ الحديث النبويّ

لقد بلغت الأحاديث التي أمكن جمعها — يدخل فيها بعض كلام الصحابة وهم حجّة — سبعة عشر حديثًا، ورد فيها خبر كاد مقرونًا بأنْ، وقد سبقت الإشارة إلى أن موطّأ مالك استعملت فيه (كاد) عشر مرات أربع منها (كاد أنْ) أي ما يساوي ٤٠٪. وقد اختلف النحاة على الاستشهاد بالحديث خلافا ليس هذا محلّه، وأهمّ حجج غير المحتجين أن الأحاديث من رواتها غير العرب، وغير المحتجّ بهم، وربّما رووه بالمعنى، وُردّ على هذا أن التحري في رواية الحديث أدّق من غيره كثيرا، وأن الرواية بالمعنى أجازها بعضهم لا كل أهل الحديث، والذين أجازوها حصروها في نطاق ضيّق،[١٥٨] على أن النحاة لم يقولوا ذلك في الشعر، وفي رواته بل في قائليه غير عرب، فنصيب وسحيم حبشيان والأخير فيه لكنه حبشية،[١٥٩] وأبو عطاء السندي لا يكاد يُفصح بين لثغة ولكنه،[١٦٠] ومثله زياد الأعجم،[١٦١] وأهم رواة الشعر حمّاد الراوية وهو لحّانة، وخلف الأحمر وكلاهما من الموالي

---

(١٥٦) الإربلي، *التذكرة الفخرية*، ص٣٨٥.

(١٥٧) المقرّي، *نفح الطيب*، جـ٩، ص٢٥٥.

(١٥٨) انظر: البغدادي، *خزانة الأدب*، جـ١، ص ص٥-٧.

(١٥٩) البغدادي، *خزانة الأدب*، جـ١، ص٢٧٢.

(١٦٠) البغدادي، *خزانة الأدب*، جـ٤، ص١٧٠.

(١٦١) البغدادي، *خزانة الأدب*، جـ٤، ص١٩٣.

ويضعان القصائد، وينسبانها إلى فحول الشعراء،(١٦٢) وإن كانوا عربًا بالنشأة. ثم إنه سُمح لهؤلاء الرواة ببعض التصرّف بالشعر؛ لأن الرواة تصلح شعر الشعراء،(١٦٣) ثم نراهم احتجوا بديوان الحماسة لأبي تمام، وفيها الكثير من المولّدين — كما سيأتي — من هذا الإجمال يتبيّن أن علّة رد الاحتجاج بالحديث موجودة بشكل أكثر بالشعر، وإن فَضُل الشعر بأن الشعر، بسبب الوزن، أكثر محافظة على القديم، فإن الحديث يُفَضَّل عليه بعدالة رواته، وأسبقيتهم الزمنية والضبط والتمحيص، وما اعترض عليه بعض النحاة في عبارات الأحاديث راجع، في الغالب، إلى عدم استقصاء هؤلاء المعترضين لكلام العرب، أو أنه خالف القواعد والقياس عندهم.

٢ ـ النثر في عصر الاحتجاج

بلغت النصوص النثرية من عصر الاحتجاج التي أمكن العثور عليها ثمانية نصوص، أحدها لأعرابي نقله ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ)، والأعراب في الاحتجاج يعاملون غير معاملة الحضر، لبعدهم عن الاختلاط المفسد للغة، وقد استشهد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) بكلام بدوية من السراة في عهده.(١٦٤) ولذلك أدرجت كلام الأعرابي في عصر الاحتجاج. والحق أنني لم أعثر على هذه الشواهد إلا بعد أن قرأت العديد من أمّهات التراث، ووجدت فيها خبر كاد من غير أنْ من الكثرة بحيث تمثّل أضعافا مضاعفة، مما يعني أن هذه الشواهد

---

(١٦٢) انظر: ابن عبدربه، *العقد الفريد*، جـ٦، ص١٥٧؛ وأبا بكر محمد بن الحسن الزُّبيدي، *طبقات النحويين واللغويين*، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، طـ٢ (القاهرة: دار المعارف، د. ت.)، ص ص٣٧، ١٦٢؛ والإبشيهي، *المستطرف*، جـ١، ص٦٠؛ والبغدادي، *خزانة الأدب*، جـ١، ص١٣١.

(١٦٣) أبوعبدالله محمد بن عمران المرزباني، *الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء* (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٤٣هـ)، عن خلف الأحمر ص ص١١٣-١١٤؛ والحصري، *زهر الآداب*، جـ٢، ص١٣.

(١٦٤) أبوالقاسم محمود بن عمر، *الكشاف عن حقائق التنزيل في وجوه التأويل* (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، د. ت.)، جـ٤، ص١٩٢.

الثمانية من القلّة بمكان، ولكنها على قلتها تسقط القول بالضرورة؛ لأنه لا ضرورة بالنثر، وبخاصة غير المسجوع، ثم هي غير حديث حتى يستطيع أن يجادل فيها من لا يرى الاستشهاد به.

٣ ـ الشعر في عصر الاحتجاج

الشواهد على هذه الظاهرة من شعر عصر الاحتجاج بلغت سبعة شواهد وهي في نظري، قليلة حتى في ميزان الضرورة، وحسبك أن تعرف أن *الشعر في مكة*، وهو مجموعة كبيرة، لم أعثر فيه على شاهد واحد اقترن فيه خبر كاد بأنْ، على الرغم من ورود كاد كثيرا فيه: على سبيل المثال (ص ص٨٧٥، ٩١٧، ٩٢٢، هامش ١٣٢٧). [١٦٥] وهذا يتماشى مع عدم ورود (كاد أن) في القرآن الكريم. كما أن *شرح ديوان امرىء القيس* وردت فيه (كاد) من غير اقتران خبرها بأن، وذلك مثل (ص ص١٠٩، ١١١، ٣٩٧ مرتين، ٤١٠، ٤١٥)، ولم يرد فيه خبر كاد مقترنا بأنْ سوى مرة واحدة (بعد ماكدت أفعله، ص٢٢). [١٦٦] وقد سبقت الإشارة إلى الخلاف حول تقدير (أنْ) فيه. ومثل ذلك يُقال عن ديوان ابن مقبل، فقد وردت فيه (كاد) من غير ارتباط خبرها بأن كثيرًا مثل (ص ص١٠١، ١٥٩) ولم يرد خبرها مقترنا بأنْ مطلقا. [١٦٧] و*ديوان مجنون ليلى* لم أجد فيه سوى شاهد وحيد ذكرته من بين ما أوردته، على حين وردت فيها كاد من غير أن يقترن خبرها بأنْ مرات كثيرة مثل: (ص ص٥١، ٥٩، ٨٤، ١١٥، ١١٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٦، ١٤٧، ١٧٢، ١٩١، ٢٠٧، ٢١٠، ٢٣٩، ٢٦٣، ٢٧٠، ٢٧٩، ٢٨١، ٣١٩). [١٦٨] وسيأتي إحصاء *لحماسة أبي تمام*، وجانب كبير من شعرائها يُستشهد بهم، إن لم يكن كلهم.

---

(١٦٥) عبدالرحمن الدباسي، «*الشعر في مكة في الجاهلية، وصدر الإسلام*،» رسالة دكتوراه غير منشورة (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٠/١٩٨٩م).

(١٦٦) حسن السندوبي، شرح *ديوان امرىء القيس*، ط٧ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢).

(١٦٧) تميم بن أبي بن مقبل، *ديوانه*، تحقيق عزة حسن (دمشق: وزارة الثقافة، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م).

(١٦٨) مجنون ليلى، *ديوانه*.

٤ ـ نثر المولَّدين

ما أتيح لي جمعه من نثر المولدين بلغ أحد عشر نصًّا، وقد سبق أن النصوص النثرية ممن يُحتج بهم بلغت ثمانية نصوص فقط، وهذا لا يرجع، في اعتقادي، إلى اهتمامي بنثر المولَّدين أكثر، وإنما يعود إلى أن الظاهرة في نثر المولَّدين أكثر، على أن هذه النصوص في نثر المولَّدين يقابلها أضعاف مضاعفة من إيراد خبر كاد عندهم من غير (أنْ)، بل إن بعضهم من العلماء كالحريري قد تحامى (كاد أنْ) فلم ترد في *مقاماته*، وإنما وردت (كاد يفعل) من غير (أنْ) مثل (ص ص٨، ١٥، ٥٩، ٨٨). [١٦٩] مع أن الحريري ممن انتبه إلى جواز ارتباط خبر كاد بأنْ كما سبق. [١٧٠]

٥ ـ شعر المولَّدين

ما أمكن جمعه من خبر كاد المقترن بأنْ في شعر المولَّدين بلغ سبعة عشر شاهدا منها شاهد عليه رواء عصر الاستشهاد، أورده أبو حيّان في *تذكرة النحاة*، فيما يظهر، من أجل النحاة ليستشهدوا به، ولعدم نصّه على ذلك، وعدم عزوه لقائله أدرجته في شعر ا لمولَّدين، كذلك منها شاهد لأبي تمام، وقد استشهد به أبو علي الفارسي[١٧١] والزمخشري الذي قال فيه: «اجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه؛ لأن حماسته محل الثقة بين العلماء.»[١٧٢] وذهب ابن هشام اللخمي إلى الاستشهاد بشعر المتنبي الذي لم ينتقده العلماء؛ لتوفّرهم على شعره، [١٧٣] وعلى أي حال هي كمية أكبر من سابقاتها، ولكن على الرغم من حجم هذه الكمية، فإنها أقل من القليل، ولنأخذ *حماسة أبي تمام* التي قال الزمخشري: إنها حجة عند النحاة، وهي

---

(١٦٩) أبو محمد القاسم بن علي الحريري، *مقاماته* (القاهرة: المكتبة التجارية، د. ت.).

(١٧٠) انظر: الحريري، *درة الغواص*، ص ص٩٠ـ٩١.

(١٧١) أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، *الإيضاح العضدي*، تحقيق حسن شاذلي فرهود، ط١ (الرياض: جامعة الرياض، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، ص ص١٠١، ١٠٥.

(١٧٢) الزمخشري، *الكشاف*، جـ١، ص٢٢١.

(١٧٣) محمد بن أحمد بن هشام اللخمي، *الردّ على الزُّبيدي في لحن العامة*، تحقيق عبدالعزيز مطر (القاهرة: دار الكاتب العربي، د. ت.)، ص٣٣.

في الحقيقة تشتمل على بعض أشعار المولَّدين كعبدالصمد بن المعذل (ص١/ ٩٥)، وعباسي آخر (١/ ٢٩٢) لكنه بدوي وآخر (١/ ٣٥٤)، ومسلم بن الوليد (١/ ٣٩١)، و ١/ ٣٩٢)، والعتبي (١/ ٤٤٤) وآخرين (٢/ ٢٦٨، ٢/ ٣٢٤). وهؤلاء، في الحقيقة، قلّة بجانب من يُستشهد بهم. ولم أوفّق في العثور على شاهد واحد يدل على اقتران خبر كاد بأنْ مع كثرة ورود (كاد) التي التزم بخبرها تجرده من أنْ، وصفحاتها (١/ ١١، ٨٤، ٩٠، ٢١٠، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٥٤، ٣٥٣، ٣٧٢، ٤٠٩، ٤٢١، ٤٥٧، و٢/ ٩، ١٥، ٢٨، ٦٠، ٦٤، ٨٤، ٨٧، ٩٢، ٩٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٦٣، ١٦٩، ١٨٣، ٢٦١، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٤٤، ٣٨٢، ٣٨٧، ٤٠٥، ٤١٣) وقد تقدم ذكر شاهد من *الحماسة* وردت فيه كاد محذوفة الخبر.[١٧٤] وإليك إحصاء آخر عن *كتاب الزهرة* (الجزء الأول)، لقد ورد فيه شاهدان على اقتران خبر (كاد) بأنْ، بيت عبدالله بن الصِّمّة في عصر الاستشهاد، وبيت أبي تمام من المولَّدين وقد سبقا. وورد فيه خبر كاد غير مرتبط بأنْ في الصفحات (٤١، ٤٦، ٦٦، ٦٨، ٧٠، ٨٤، ٩١، ٩٤، ٩٩، ١١٢، ١٤١، ١٥٤، ١٦٠، ١٧٥، ١٨٦، ١٩٠، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٥٢، ٢٦٢ مرتين، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٨٧، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٨ مرتين، ٣٢١، ٣٢٤ مرتين، ٣٣٤ ثلاث مرات، ٣٥٤).[١٧٥]

مما سبق يتبين أن اقتران خبر كاد بأنْ قليل — والقلة عندهم دون الكثرة[١٧٦] — ولكن إلى أدنى حدود القلة، مما يقربه من الندرة لولا مافي الندرة من مطابقة القياس.[١٧٧] وهذا

---

(١٧٤) أبو تمام، *حماسته*.

(١٧٥) الأصفهاني، *الزهرة*.

(١٧٦) عبدالرحمن السيوطي، *الاقتراح*، تحقيق أحمد محمد قاسم (القاهرة: مطبعة السعادة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ص٥٩.

(١٧٧) سيد شريف، *التعريفات* (استامبول، مطبعة أحمد كامل، ١٩٢٧م)، ص٨٤؛ على أن ابن مالك الابن، شرحه *ألفية أبيه*، ص٢٧٤، جعل الندرة في النثر تقابل الضرورة في الشعر. ولم يقيّد ذلك بقيد.

مناقض لكون كاد للحال عند الإطلاق، و(أنْ) للاستقبال، على سبيل الحذر، مع أن ابن مالك لا يرى أن ذلك يخالف القياس كما مرّ. وهذا في نظري، مما يدعم القول: إن مجيء خبرها مقترنا بأن ليس أصلا فيها، وإنما نُزّلت منزلة أختها (عسى) في هذا، كما أن الشواهد تدل على أن الظاهرة ليست للضرورة كما زعم البصريون، وحجتهم السماع بأنه لم يقل عربي (كاد أن يفعل)، وقد سُمع؛ لأنهم إذا استطاعوا — جدلا — أن يدفعوا الأحاديث النبوية بدفوعات عدم الاستشهاد بها السابقة، التي مثّلها الأنباري بقوله على حديث «كاد الفقر أن يكون كفرا، فإن صح فزيادة أنْ من كلام الراوي، لا من كلامه عليه السلام؛ لأنه صلوات الله عليه أفصح من نطق بالضاد.»[١٧٨] وإذا استطاعوا أن يدفعوا الشواهد الشعرية المحتج بها، بأنها مجال ضرورة، وإذا استطاعوا أن يدفعوا النثر والشعر المولَّدَيْن بعدم الاحتجاج بهما أصلاً، وأن الشعر محل ضرورة أيضا، فإنهم لا يستطيعون دفع الشواهد النثرية العديدة من عصور الاحتجاج، فإن راموا الطعن فيها عرّضوا الشواهد كلها للطعن؛ لأن القضية فيها جميعا مبنيّة على أن الناقل نقل العبارة بلفظها من عصور الاحتجاج من غير تغيير، فإن مسسنا هذا الأساس لم يبق شيء يُمكن أن يُتّفق عليه؛ لأن ذلك سوف ينسحب على الجميع.

---

(١٧٨) الأنباري، *الإنصاف*، جـ٢، ص٥٦٧.